دور الأستخبارات والعملاء في إجهاض الثورات

هذه هي الحلقة الاخيرة في الدراسة التي تتناول اساليب الثورة المضادة وطرقها في اجهاض العمل الثوري، وكنا قد ذكرنا اننا ننشرها هنا لمجرد اعطاء فكرة للمناضلين عن حجم ونوعية العمل المعاكس الذي يتعين عليهم ان يتفوقوا من العدو ، فالمعلومات والخبرات التي راكمها العدو من تجاربه الطويلة مع الثورات واساليبها لم تذهب عبثاً ، بل وظفها في محاولة لايجاد قوانين للعمل المضاد، واساليب علمية لاجهاض الثورات .

ان الحلقات التي نشرت من هذه الدراسة في الاعداد الاربعة الماضية من « الهدف » بالاضافة الى الحلقة المنشورة فيما يلي ، تشكل مصدرا مهما للتعرف على اسلوب عمل العدو في الثورة المضادة ، ويمكننا تلمس هذا الاسلوب ، ورؤية ملامحه في تجاربنا التي ما تزال حية في الذاكرة .

« الهدف »

هناك اربع طرق للحصول على المعلومات عن اماكن تجمع الثوار(١) :

وطريقة عمل الثورة معتمدا على دراسة تحركات الثوار السابقة ثم تقوم الدوريات باقتفاء اثار تحركات الثوار كوقد الاقدام او المركبات او البقايا او خلاف ذلك مما يمكن ان يتركه الانسان من اثر خلال انتقاله .

٢ ـ المخبرون السريون : تجمع المعلومات الواردة من المخبرين وتقابل وتبت بصحتها وتهمل الخاطئة منها ويستمر التحقق من الاخرى ، ثم تؤلف صورة كاملة من مجموع هذه المعلومات لمعرفة طريقة تنظيم الثورة والخلية وما يطلب من المعلومات .

٣ ـ الاتصال الاجباري : قطع الاتصال بين المقاتلين وخلاياهم وعزل بعض مناطق الامدادات والسماح بمناطق محددة مما يدفع المقاتلين للخروج الى العلن للاتصال بقواعدهم وبمناطق الامدادات واذ ذاك تستطيع السلطة كشف هؤلاء المقاتلين والقبض عليهم او تصفيتهم .

هكذا فعل البريطانيون في الملايو ، عزلوا بعض مناطق الامدادات بينما تجاهلوا مناطق اخرى وتركوا المزارعين الذين يقدمون المعونة للمقاتلين مما جعل المقاتلين يزيدون نشاطهم من الامدادات من تلك المنطقة ومن اولئك المزارعين وبعد ان تعرفت السلطة على جميع هؤلاء المقاتلين نصبت لهم الكمائن واسرتهم .

٤ ـ العملاء : تعتبر هذه الطريقة افضل السبل للحصول على معلومات محددة مطلوبة ، وذلك بأن تقوم السلطة ببث عملائها في القرى الهامة وكذلك في التنظيمات الثورية بشكل يصعب معه كشف هوية هؤلاء العملاء . وتخول السلطة آنذاك قادة المناطق بالتصرف نتيجة للمعلومات الواردة من العملاء دون الرجوع الى السلطة المركزية .

تشجيع عمل المخبرين والعملاء

يمكن تشجيع المخبرين والعملاء للتعاون مع السلطة باستغلال الدوافع الشخصية التي توجد عند الافراد كمخالفة مبادىء الثورة مثلا واستغلال الشعور بالغيرة والحقد او الرغبة في المال او الخوف من التهديد او العقاب او غير ذلك من نوازع انسانية .

في الفيليبين كانت تدفع بريطانيا مكافأة ضخمة لمن يسلم او يساعد في القبض على كادر من الكوادر وقد وصلت قيمة المكافأة عن احد ابرز اعضاء الحزب الشيوعي مبلغ خمسين الف دولار . والمهم هنا ان تستطيع السلطة حماية المخبر او العميل من انتقام الثورة لذلك فقد تستعمل اشارات خاصة ومختلفة لاستقاء المعلومات من المخبرين باستعمال اشارات بدائية كاستعمال فتح الشبابيك والابواب او نشر الغسيل الملون او الاضاءة او خلاف ذلك حتى ان الطائرات كانت تستعمل لمراقبة مثل هذه الاشارات . كما كانت الرسائل التي تحمل معلومات تعزق الى جزئين يسلم كل منها الى مركز ثم تجمع للتأكد من مطابقتها وصحتها وذلك لحماية المخبرين او العملاء .

وقد حدث مرة ان اكتشفت السلطة احد الافراد الذين يقدمون معونات للثوار وبعد ان جمعت عدة وثائق تدينه بالتعاون اخذت تهدده بالحبس ان لم يتعاون معها او يفضح امره لتنتقم منه الثورة ثم اخذت تقنعه بالوشاية بالخمسة ثوار الذين كانوا يعرفونه لكي تستطيع السلطة تصفيتهم وحمايته بالتالي من انتقام الثورة .

وبالنسبة لزرع العملاء تعمد السلطة الى وضع شخص في مركز حكومي حساس وتعطيه صلاحيات معينة تجعله هدفا لاقناع الثورة له بالتعاون معها بحيث يعمل كعميل مزدوج يخدم ماربه السلطة .

وكذلك يمكن اجبار شخص ما بالتعاون مع السلطة اذا اكتشفت قيامه باعمال سرقة واحتيال او تهريب مسنفيدة من تهديده بفضح امره .

وبما ان الثورة لا تأمن عادة الجند في صفوفها الا ان السلطة احيانا تتحايل على هذا الوضع ففي الفيليبين مثلا جهدت السلطة بالاتصال بأقارب قادة الثورة للتعاون معها حتى وجدت شخصا يقبل بذلك فدربته تدريبا خاصا ثم ارسلته لمقابلة قريبه في الثورة بعد ان اسرت اخاه وشردت اهله ونسفت بيته مما سهل له الانتساب لها ثم استلم مهام التموين واخذ يجمع المؤن للثورة وساعدته الحكومة في ذلك بحيث قدمت للثورة معونة كبيرة عن طريقه حتى قوي مركزه واستمر في تقدمه المطرد حتى اصبح الحارس الشخصي لقائد الهوكس نفسه واستطاع هذا العميل تقديم معلومات قيمة للاستخبارات بطريقة معقدة من الاتصالات والاشارات عن مركز القيادة العامة وعن اعضاء اللجنة المالية الوطنية .

التسلل بالوحدات

وذلك بتأليف وحدات مقاتلة تتقمص طريقة الثوار الحقيقيين وتتدرب تدريبا عاليا باشراف خبراء واسرى من الثورة وتعطي ملابس ثوار من الاسرى ويدفع بها بطريقة مدروسة لتختلط بالثوار وتكشف قياداتهم وطرق عملهم .

حدث مثل هذا لثورة الماوماو فانشئت فرقة من الافريقيين المتعاونين ومن بعض الاوروبيين المتطوعين الذين يشبهون الافريقيين ودربوا على كل صغيرة وكبيرة ، تحية الماو ماو وشعاراتهم وحتى صلاتهم ثم تسللوا للعمل مع الثورة .

وفي الفيليبين تطوعت فرقة من ثلاثة ضباط و ٤٤ جنديا والفوا فرقة تشبه مفارز الهوكس في جميع التفاصيل وجردوا من كل ما يمكن ان يشير الى هويتهم الحقيقية وحملوا اسلحة غير جيدة وكتبا ثقافية وعقائدية وبذكارات من صديقاتهم وملابس من اسرى الهوكس وضمت القوة متطوعين جرعين زيادة في التمويه . ثم دربوا تدريبا مكثفا وصاروا يتادون بعضهم بالرفاق بشكل طبيعي ويرددون اغاني الهوكس واثناء تدريبهم دخلت فرقة اخرى مماثلة الى المنطقة المعدة للتسلل لدراسة تصرفات السكان ومدى تعاونهم مع الثوار ثم قامت فرقة عسكرية تابعة للسلطة بشن هجوم عنيف على هذه الوحدة لتبدو وكانها اضطرت تحت وطأة الهجوم للانسحاب الى المنطقة التي حددتها الحكومة لهم وانطلت المؤامرة على الهوكس المحليين واختلطوا مع تلك الفرقة لمدة اربعة أيام استطاعوا خلالها التعرف على هويات القادة وطريقة عملهم واسماء موظفي الحكومة المتعاونين مع الثورة . وقمت الفرقة في خطأ واحد كشف هويتها وهو ان افرادها كانوا يحملون ذخائر اكثر بكثير مما اعتاد ان يحمله الثوار فاثار ذلك انتباه الثوار ولكن بعد ان كانت الفرقة قد حصلت على معلومات ضخمة سببت ايقاع ضربات موجعة بالثوار من اعتقال ونصفية كثير من اعضاء الحركة السرية .

زيادة على ذلك فانه كلما استطاعت هذه الوحدات النجاح في مهمتها والتشبه بتصرف الثوار كلما أثر ذلك نفسيا على الثورة وجعلها في حال استمرار المراقبة لاكثر من يوم تبديل هذه السيارات .

كما انه في هذا العمل يستعمل اشخاص آخرون لايصال المعلومات ويستعمل في ذلك الحلاقون مثلا والبقالون وعمال التنظيفات والمصابغ واعتقال المشبوهين منهم وبمكن نتيجة الاستجوابات جمع المعلومات والاجابات المتشابهة وذات الدلول المتقارب والاستنتاج منها ما تكون الثورة قد زودت افرادها والمتعاونين معها به من اجابات .

وهذا الاسلوب ينفع في المدن وفي الاماكن التي يمكن حصرها ومحاصرتها ولا يفيد في الغابات والصحارى حيث يستطيع الثوار الاختفاء . ومن ميزاته أنه يعطي الفرصة للوشاة باعطاء المعلومات عند اعتقال الاعداد الكبيرة من السكان دون ان تتعرف الثورة اليهم نظرا للتحقيق الافرادي

على انه من الاساليب المضادة لهذا العمل بخلاف رصد تحركات القوى واشعار السكان بنية السلطة بحيث يستطيع الثوار حشد اشخاص من خارج المنطقة المحاصرة بحيث توقع السلطة في فوضى وتفوت فرصة فائدة الحصار، كما ان فشل هذا الاسلوب يعطي الفرصة للثورة بالتشكيك بمقدرة السلطة وفعالية تصرفاتها فيقل المتعاونون معها من عملاء ومخبرين(٢) .

المراقبة

تعتبر المراقبة المقلقة للاشخاص والاماكن من اهم اساليب وطرق جمع المعلومات للمخابرات . ويدخل ضمن هذه الاعمال المراقبة التكنولوجية، مراقبة الهاتف والبرقيات والبريد واخفاء الاجهزة اللاقطة مما يحتاج وحدد لبحوث كاملة وتهتم بها الان الدول والثورات على السواء مع تقدم وسائلها وتطوير اجهزتها كل يوم .

اما مراقبة الاشخاص فيجب ان يكون الشخص الذي يقوم بهذا العمل على دراية كاملة بالمنطقة التي يقيم فيها ، عاداتها ولباسها ولهجتها وتصرفات اهلها بحيث لا يختلف في مظهره عن اي فرد من افراد المنطقة التي يقيم بها ، كما ان عليه ان يتعرف الى الشخص المكلف بمراقبته في حال النظر اليه من مختلف الزوايا من امام ومن وراء ومن ناحية جانبية ومن طريقة سيره ومن حركاته كما ان من الممكن والمستحسن ان يقوم اثنان بالمراقبة كي لا يلفت نظر المراقب (بفتح القاف) او غيره بتتبع خطواته كما ان على القائمين بهذا العمل القيام باي نشاط يبدو كانه طبيعي كي لا يلفت اليه الانظار .

كما ان المراقبة والملاحقة بالسيارات يجب ان تقوم به سيارتان على الاقل ، بحيث تبتعد الواحدة عن الاخرى بما لا يقل عن مائة ياردة وفي حال استمرار المراقبة لاكثر من يوم تبديل هذه السيارات .

كما انه في هذا العمل يستعمل اشخاص آخرون لايصال المعلومات ويستعمل في ذلك الحلاقون مثلا والبقالون وعمال التنظيفات والمصابغ

(٢) تجارب السلطات الاستعمارية في العالم العربي مشهورة جدا في هذا الحقل فالسلطات البريطانية في فلسطين كانت تقوم بمثل هذا العمل ليلا احيانا والسلطات الاسرائيلية الان تمارسه بعد كل عملية فدائية في الارض المحتلة وتقوم بجمع السكان لساعات طويلة تحت اشعة الشمس في العراء تماما كما كانت تفعل السلطة البريطانية .

وموزعو الصحف ويستعمل في ذلك عادة عدة افراد لضمان سلامة العمل وحسن ايصال المعلومات .

التمويه

وهو اسلوب تستعمله المخابرات بأن يتقمص بعض افرادها شخصية اناس آخرين قد يكونون عملاء او ثوار، ولا يستعمل هذا الاسلوب بالدرجة الاولى للحصول على معلومات بل للسؤال عن عملاء والتأكد من هوياتهم او خطفهم او التسلل الى صفوفهم .

حدث مثلا اثناء الحرب العالمية الثانية في « قصة القطب الشمالي » الشهيرة فقد عملت المخابرات الالمانية باحدى المحطات السرية التي كانت تعمل بين هولندا ولندن وبعد تفتيش استمر لمدة شهر اكتشف الالمان موقع المحطة فاغاروا عليها والقوا القبض على المسؤول عنها وصادروا دفتر الشيفرة والراديو ، وبالرغم من ان هذا المسؤول كان وطنيا يعمل في حركة المقاومة السرية الا انه ضعف امام تهديد الالمان له وطلب منه الاستمرار في العمل والبث الى لندن وبرغم انه تعمد احداث بعض الاخطاء الطفيفة ليشير الى انه اكتشف الا ان لندن لم تلاحظ ذلك واستمرت في ارسال التعليمات له وكذلك العملاء والمؤن التي كان يطلبها بايعاز من السلطات الالمانية التي كانت ترسل افرادا في زي اعضاء حركة المقاومة السرية للقاء هؤلاء العملاء والمؤن ثم يعمدون بعد ذلك لكشف هويتهم والقاء القبض عليهم .

الاستجواب

استجواب العملاء والمخبرين والاسرى والمشتبه بهم او الفارين يشكل دورا هاما في مؤامرة الحكومة ضد الثورة . ويستهدف الاستجواب عادة الحصول على معلومات عن هويات الثوار ومواقع المقاتلين ومخازن اسلحتهم وذخيرتهم واماكن اذاعتهم ومطابعهم وخططهم وعملياتهم والهيكل الرئيسي للحركة السرية .

ويجب على المحقق ان يفرض احترامه وسيطرته على المتعرضين للاستجواب ويجب ان يكون متخصصا واعيا لطبيعة عمله وان يبدو متعاطفا مع المستجوب (بفتح الواو) ليحصل على ثقته ولكي يشعر هذا بانه يتحدث مع انسان واع متفهم لوجهة نظره لكي يبوح بكل ما لديه باقرب فترة ممكنة .

ولنجاح مثل هذا العمل يجب ان يكون المحقق ايضا ذكيا سريع الملاحظة يحسن اصطياد الثغرات الواردة في المعلومات مواجها بها المعتقل سادا عليه جميع طرق التهرب من الاجابة او كتم المعلومات ، كما ان عليه ان يجلس في مواجهة المعتقل دون ان تكون بينهما أي قطعة اثاث وفي غرفة خالية من الاثاث او الصور او النوافذ بحيث لا يكون اي شيء من هذا منفذا للنظرات المعتقل تشكل له متنفسا نفسانيا يساعده على التفكير وتحضير الاجابة كما يجب ان يجلس المعتقل وظهره الى الباب وعلى المحقق ان يمثل الغضب من حين لآخر والتعاطف احيانا مع السجين .

كما يحدث ان يقوم بالتحقيق شخصان يستعمل احدهما العنف مع السجين ويأخذه الآخر باللين كما انه في حال التحقيق مع اكثر من شخص واحد يتم ذلك مع كل على حدة وتستعمل اجابات احدهما للضغط على الاخر بالبوح بما عنده واشعاره بان رفيقه قد باح بكل ما لديه ولا فائدة له من الكتمان ، كما ان هناك اكثر البوليغراف لكشف الكذب وهذه في الحقيقة لا تكشف الكذب بل تعطي فكرة عن الانفعالات النفسية وتحتاج لخبراء في استعمالها مدربين انما المعتقل الواقع من نفسه الذي لا يترك مجالا لانفعالات نفسية لديه يمكنه ان يفشل عملها .

السيطرة على الشعب

من الاعمال الاساسية للثورة كسب ثقة الشعب وبالتالي ولائه للثورة ومساعدته لها واذا نجحت الثورة في هذا العمل استطاعت ان تنال الحماية والمعونة واستمرار الامدادات ، ومن اهم واجبات السلطة في مقاومة الثورة تفشيل هذا العمل بحيث تجعل الثورة تعيش في جو عدائي يساعد على الوشاية بافرادها وعدم حمايتهم ووقف الامدادات عنهم وتستعمل السلطة لذلك طرقا عدة منها سن القوانين العنيفة ضد كل من يساعد الثوار وتنفيذ ذلك بشكل ارهابي وحصر توزيع المواد الغذائية ثم التهجير واعادة الاسكان وتحميل السكان مسؤولية اعمال الثورة والتنكيل بهم بعد كل عملية تقوم بها الثورة(٣) مما يدفع الثوار احيانا للاحجام عن القيام باي عمليات خوفا من تنكيل السلطة بمواطنيهم .

كذلك تستعمل بعض السلطات اسلوب تسجيل اسماء الافراد الاسر والقرى في لوائح خاصة واحيانا تعمد الى ذكر اعداد اكثر في كل بيت على باب ذلك البيت والتحقق من صحة انطباق ذلك على الواقع بين حين واخر كذلك في اصدار بطاقات الشخصية تسجيل عدد كبير من المعلومات عن الشخص مع بصمات اصابعه وسؤاله مجموعة من الاسئلة بموجب لوائح خاصة تؤخذ الى دوائر البوليس للتحقيق فيها ومقارنتها مع معلومات الشرطة عنه .

وفي فيتنام مثلا حيث كان الثوار يصادرون احيانا بطاقات الهوية من السكان وضعت السلطة غرامة كبيرة على كل من يفقد بطاقته ويريد اصدار بدل عنها لكي يحاول المحافظة عليها قدر الامكان ويخفيها عن الثوار ثم لخلق شعور عدائي تجاه الثورة التي تسبب له دفع الغرامات . وكذلك كانت تعمد السلطة لاستبدال البطاقات بين حين واخر وتغيير الوانها واشكالها لمنع تزويرها من قبل الثوار .

البرامج

ومما تقوم به السلطة عادة لكسب ثقة المدنيين ودفعهم بطريق غير مباشر الى عدم مساعدة الثورة وضع برامج عمل يشترك بها السكان بحيث تعود عليهم بالفائدة والخدمات ، تمد بهذه البرامج ثم تقوم بتنفيذها بحيث تعطي شعورا بانها تقوم بخدمة السكان لمجرد خدمتهم ورفع مستواهم(٤) .

في الجزائر قام الفرنسيون ببرامج كهذه فارسل الجيش حوالى الف شخص نابعين لوحدات خدمات خاصة الى الارياف وكل وحدة كانت تحت قيادة ضابط فرنسي من درجة سرية يساعده نائب وسكرتير وفتحوا مكاتبهم بين السكان العرب واخذوا يستجيبون لطلبات الشعب هادفين لمساعدة الشعب ورفع مستوى آحواله المعيشية. ثم نظموا افتتاح فصول دراسية وقاموا بالتدريس بها وساعدوا في بناء البيوت واقامة التسهيلات الصحية واخذوا المرضى والجرحى الى المستشفيات للعلاج واجراء العمليات الخ .. (٥) وقد وجد الفرنسيون ان الاتصال المباشر بافراد الشعب هو ذو فائدة اكبر في الدعاية من توزيع النشرات والدعاية المباشرة .

الحاجة لعنصر الثقة والاعمال الايجابيه

في الاوضاع المستجدة او الحرجة تحتاج الثورة لافراد موثوقين يعرفون واجباتهم ويعون ما عليهم القيام به تحديدا ووضوحا ويحتاج افراد الشعب كذلك لمن يعرف كيف يخاطبهم ولماذا ومتى وعم ؟ وكذلك تحتاج السلطة ، لان الشعب لا يستطيع ان يعطي ثقته على المدى الطويل وبتقاضى عن الاخطاء والهفوات مهما كان ايمانه بالثورة والثوار ، آنذاك يصبح من واجبات الثورة ان تعمل جهدها في خلق الكوادر الواعية الموثوقة التي تستطيع الاحتفاظ بثقة الشعب وكذلك عليها القيام بالاعمال الايجابية الملموسة التي تحافظ على رصيد الثورة لدى افراد الشعب بل وتزيد من هذا الرصيد باستمرار طالما ان الشعب هو مصدر قوتها وامدادها وحاميها ، ويجب ان نعود عليه الفائدة الاولى من انجازاتها ، والا فللشعب حد في الاحتمال دون احساس النتائج والطبيعة الانسانية تطلب التطور فعلى الثورة ان تعمل باطراد لتبعث الطمأنينة في نفوس الجماهير التي تقدم وتعطي وتضحي ويعز عليها ان تذهب تضحياتها هباء .

((تعقيب))

حدث بالصدفة المريرة ان جرى نشر هذا البحث في فترة التبست فيه الاحداث كل سلبيات الثورات التي ورد ذكرها واذ كنا قد ذكرنا في مستهل هذا البحث ان الرجعية والامبريالية قد شحذت اسلحتها للانقضاض على الثورة فقد صدق الظن الان وفعلت ولا نظن انه فاتها تعلم الدروس التي ذكرناها هنا والتي كانت حصيلة عمل دائب ملحاح أجهض كثيرا من الثورات وانها تستهدف اجهاض الثورة الفلسطينية الان . ولكن هل تتعلم كما تعلموا ؟ هل نثق بأن النصر هو عمل دؤوب وصبر ووافع ، وانه ليس حظا وتبجحا بانينا بين ليلة وضحاها ؟

هل تتعلم ان الثورة والسرية صنوان وان على الثائر ان لا يعرف اكثر مما يجب وان لا يتحدث بما يعرف ؟ وهل عرفنا الان من هو عدونا ومن هو صديقنا ؟ هل تعلمنا ان الثورة لا تقبل بانصاف الحلول اذا كانت السلطات نفسها لا تقبل بها الا لتنقض ؟

ان الثورة الفلسطينية تحارب على مجموعة من الجبهات والتضحية بالارواح تهون في سبيل مكسب ولكنها لا تهون على مذبح التسويات .

ليكن من الواضح ان نشر هذا البحث وهذا التعقيب هو ضوء على درب الثورة الطويل الشاق والذي تعي الثورة طول امده وصعوبته تمام الوعي ، فالامم لا يأتيها النصر في ايام او شهور او سنين وبدون تضحيات ، ولا توجد ثورة حصلت على النصر الا بعد سلسلة طويلة من الهزائم والنكسات وثورات العالم القديمة والجديدة تشهد بذلك . ثورة الصين اكبرها في القرن العشرين قال معلمها ماو ما معناه لا ننتظر النصر قبل مائة هزيمة . الفلسطينيون يقاتلون منذ العشرينات الاستعمار والصهيونية والامبريالية والرجعية وتتقاذفهم الاهواء والاقطاعيات والاسر والولاءات والمؤامرات والتشرد ولكن كل هذه الضغوط لم تنل من تصميمهم على التحرير والقتال ، والثورة الفلسطينية تضمد جراحها الان ولكنها تخرج اصلب عودا واكثر تصميما على النضال .

(١) هذا بالطبع هو من انجازات الثورة لانها تدفع السلطة للقيام بأعمال خدمات كهذه

(٥) تقوم احيانا السلطات بتوفير سبل العمل للسكان ودفع رواتب مرتفعة لهم ليعيشوا في بحبوحة وبستكفوا عن مساعدة الثوار كما تفعل اسرائيل وكما وعى القدائيون هذا العمل فأخذت تمنع السكان من العمل مع السلطات الاسرائيلية في ذلك وفي توفير الايدي العاملة من المجندين الاسرائيليين .

المقاومة عسكريا
بقلم: أبو هام
أول كتاب من نوعه يبحث في العلم العسكري اللازم للمقاومة
دار الطليعة - ٣ ليرات